

البداية والنهاية

وانصرف فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه يلومه في مخاطبته أسماء وقال مالك ولائنه الرجل الصالح وقال مسلم بن الحجاج فى صحيحه ثنا عقبه بن مكرم حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي أنبأ الأسود بن شيان عن أبى نوفل قال رأيت عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوبا فجعلت قریش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنت شرها لأمة خير ثم بعد عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج وقوف ابن عمر عليه وقوله ما قال فأرسل إليه فأنزله عن جذعه وألقى فى قبور اليهود ثم أرسل إلى أمه أسماء بنت أبى بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتينى أولا لأبعثن إليك من يسحبك من قرونك فأبت وقالت والله لا آتيه حتى يبعث إلى من يسحبني بقرونى فقال الحجاج أرونى سبتيتى فأخذ نعليه ثم انطلق يتودف ؟ حتى دخل عليها فقال كيف رأييتننى صنعت بعد والله قالت رأيتك فسدت عليه دنياه وأفست عليك آخرتك بلغنى أنك تقول يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ص وطعام أبى بكر وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه أما إن رسول الله حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه قال فقام عنها ولم يراجعها انفرد به مسلم وروى الواقدي أن الحجاج لما صلب ابن الزبير على ثنية الحجون بعثت إليه أسماء تدعو عليه وطلبت منه أن يدفن فأبى عليها حتى كتب إلى عبد الملك فى ذلك فكتب إليه أن يدفن فدفن بالحجون وذكروا أنه كان يشتم من عند قبره ريح المسك .

وكان الحجاج قد قدم من الشام فى ألفى فارس وانضاف إليه طارق بن عمرو فى خمسة آلاف وروى محمد بن سعد وغيره بسنده أن الحجاج حاصر ابن الزبير وأنه اجتمع معه أربعون ألفاً وأنه نصب المنجيق على أبى قبيس ليرمى به المسجد الحرام وأنه امن من خرج إليه من أهل مكة ونادى فيهم بذلك وقال إنا لم نأت لقتال أحد سوى ابن الزبير وأنه خير ابن الزبير بين ثلاث إما أن يذهب فى الأرض حيث شاء أو يبعثه إلى الشام مقيداً بالحديد أو يقاتل حتى يقتل فشاور أمه فأشارت عليه بالثالث فقط ويروى أنها استدعت بكفن له وبخرته وشجعتة على القتل فخرج بهذه النية فقاتل يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين قتالاً شديداً فجاءته آجرة ففلقت رأسه فسقط على وجهه إلى الأرض ثم أراد أن ينهض فلم يقدر فاتكأ على مرفقه الأيسر وجعل يحدم بالسيف من جاءه فأقبل إليه رجل من أهل الشام فضربه

